الصغار هم الذين تبنوا الفكرة بسرعة ، بينما تقاومهـا بورجوازية المدن التي لا تزال تحتفظ بالعنف العقلي الشوفيني بديلا وحيدا للعنف الثوري . لقد ساعد التثقيف الثوري وتعليم العبرية في مخيمات اللاجئين وازدياد الاتصالات مع اليهود التقدميين كثيرين من العرب على التغلب على مخاوفهم العميقة من اليهود وكراهيتهم لهم ـــ تلك المخاوف التي خلقها أساسا الاحتلال الصهيوني لفلسطين ـــ وولدت هذه الاتصالات في اذهان هؤلاء صورة اكثر انسانية لليهودي .

٢ ـــ هناك من لم يفهموا الفكرة ومضامينها ابدا ، وخلطوا بينهـا وبين فكرة الدولة الفلسطينية العميلة ظانين انها بديل للتحرير لا نتيجته النهائية المطلوبة . وبعض هؤلاء يشوهون الحقائق عمدا لأغراض تحزبية خاصة . لكن معظم هؤلاء ينتهون الى القبول بالفكرة عندما يفهمونها فعلا .

٣ ـــ هناك الفئة الثالثة وهي فئة الثوريين العرب الذين يقبلون بهذا المنحى في معالجة المسألة اليهودية ولكنهم يرفضون فكرة دولة فلسطينية على أساس مدى قابليتها للتحقق ومدى قابليتها للحياة . وهؤلاء يفضلون الحديث عن حل ديمقراطي أو وضع ديمقراطي وليس عن دولة . وهم يلاحظون بحق أن فلسطين المحررة لا يمكن ولا يجب أن تكون دولة غربية ،اسرائيل جديدة مقنّعة ، بل يجب أن تصبح جزءا من دولة عربية تقدمية ديمقراطية موحدة في المستقبل. وتشترك في هذه الفكرة أساسا الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وجبهة التحرير العربيـة ، كذلك بدأت ماتزبن (المنظمة الاشتراكيـة الاسرائيلية) في اعتناق هذا المفهوم كذلك(١٤). وفتح لا تخالف هذا المفهوم على الاطلاق فهي تعتبر الدولة الديمقراطية الفلسطينية مجرد مرحلة نحو فيدرالية عربية موحدة في المستقبل . فيدرالية يتمتع فيها اليهودي الفلسطيني بحقوق سياسيـة وثقافية ودينية كاملة بعيدا عن التمييز والاضطهاد والاستغلال . صحيح أن جبهة التحرير العربية شنت حملة مريرة على الفكرة رافضة لها على اساس أنها أقليمية . وقد كانت هذه الحملة أمرا يؤسف له ، لانها أعطت انطباعا بأن هـذه الرؤيا الجديدة لفلسطين الغد موضع مناظرات وسجالات بين العرب أنفسهم ، مما يدمر جدارتها بالثقة(١٥). على أن هذه الحملة أمر يؤسف له بقدر أكبر بالنظر الى تأكيدات جبهة التحرير العربية المتكررة بأنها لا تدعو الى حل شوفيني للمسألة اليهودية . ولذا فان هجومها على الاقليمية يبدو ظالما وتحزبيا ولا معنى له في ضوء التجربة الاقليمية العربية الراهنة ذاتها ، وعلى الاخص اقليمية تلك الدول العربية الاكثر تقدما التي يحكمها ما يسمى بالاحزاب التقدمية القومية. فالهوية الفلسطينية للثورة لا يمكن ان تكون الا هوية نضالية لا اقليمية وتحرير فلسطين لا يمكن ان يتم دون التحام الثورة الفلسطينية بالثورة العربية وفلسطين الديمقراطية لا يمكن أن تكون كيانا منعزلا منغلقا او منفصلا عن الجسد القومي العربي كما تنفصل الدول العربية التقدمية الآن . غير أن هذا الهجوم كان قاسيا لدرجة دفعت المنظمات الاخرى الى موقف دفاعي . مما جعل الشلل الناجم عـن ذلك يعيق المجلس الوطني الفلسطيني عن تعديل المادة السادسة من الميثاق الوطني ، فأتاح ذلك للصهيونيين فرصة نادرة للهجوم على الدولة الديمقراطية على أساس أن الفلسطينيين يناقضون أنفسهم ويقومون بمناورة تاكتيكية فـ« يقولون بالانجليزية شيئا وبالعربية شيئا آخر » ، كما يطيب للجنرال حاركابي، ضابط الاستخبارات الاسرائيلي الذي تحول الى داعية، ان يردد(١٦). تركز جماعة النقاد هذه على مشكلة الارقام ، مدعية أن عرب فلسطين سيكونون أقلية في فلسطين الجديدة(١٧)، وهذه حجة يستخدمها الصهيونيون بالمقلوب مدعين بدورهم أن اليهود سيكونون أقلية في فلسطين الجديدة(١٨). لكن الارقام تبين في الواقع أن عـدد الفلسطينيين العرب تحت الاحتلال وفي المنفى يساوي بالتقريب عدد المستوطنين اليهود الآن (٢،٧٥٠،٠٠٠ نسمة لكل من الطرفين) . غير أن المشكلة الحقيقية ليست مشكلة